

لها، هي إنشاء المدارس، وحشد العلماء لها، كي تكون مصدرا للإقناع والتعليم والدفاع، وهذا ما فعله نظام الملك، فقد أقام المدارس النظامية، وافتتح نظامية بغداد بنفسه، وأشرف على هذه المدارس وأولاهها رعايته، وتوسع في إنشائها، ووقف عليها الأموال التي تضمن استمرارها من بعده.

ومع أنها كانت في أول أمرها غير مرصّية من العامة وبعض العلماء، فقد درس بها كثير من الأئمة وأفاضل الأمة، كأبي بكر الشاسي، وحجة الإسلام الغزالي، وأبي نصر بن الصباغ، وأبي اسحق الشيرازي، وغيرهم.

"و في سنة 479 هـ، دخل السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك بغداد، ونزلا بدار المملكة، وزارا مشهد الدمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق المتوفى ببغداد سنة 183 هـ، وقبره هناك في الجانب الغربي مشهور يزار، وعليه مشهد عظيم، وزارا كذلك قبور جماعة من الأئمة والصالحين، كمعروف الكرخي المتوفى سنة 200 هـ. والامام احمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرها من القبور المعروفة، فقال ابن زكرويه الواسطي يهنيئ نظام الملك بقصيدة منها:

أرضت مضاجع من بها مدفون زرت الممالك زورة مشهورة
و كأنها بك روضة ومعين فكأنك الغيث استهل بترها
و لك الإله على النجاح ضمين فازت قداحك بالثواب وأنجحت

وخلع الخليفة على نظام الملك، ودخل إلى المدرسة النظامية، وجلس في خزانة الكتب، وطالع بعض ما فيها، وسمع الناس عليه في المدرسة جزء حديث، وأملى جزء آخر". (1)

ولاشك أن هذا الصنيع من السلطان ووزيره نظام الملك، فيه كثيره من اللباقة والكياسة والتوجيه.

وقد كانت المدارس النظامية منبئة في العراق وإيران وأفغانستان، وكان التعليم فيها يجري

(1) وفيات الأعيان هامش، ص 399، من الجزء الرابع طبعة دار المأمون بالقاهرة سنة 1355

